

## ابن ماجد

أعظم ربان البحر العرب في القرن المئلاى الخامس عشر ، جاب  
لسفنه بحار المحيط الهندى طوال ستين عاماً ، ووطئت قدماه سواحل  
وموانى الصين والهند واندونيسيا والخليج العربى والساحل الافريقى  
الشرقى والبحر الأحمر . واستخدم لأول مرة البوصلة فى الملاحة البحرية .

واكتشف "علم البحر" لأول مرة -  
وألف فيه أكثر من ثلاثين كتاباً .  
وقاد مغماً فاسكودى جاما إلى  
الهند . إنها قصة تثير الفخار ،  
يقرأها الصغار والكبار .

### صدر من هذه السلسلة :

- |                  |               |
|------------------|---------------|
| ١ - ابن النفيس   | ٧ - ابن سينا  |
| ٢ - ابن الهيثم   | ٨ - الفارابى  |
| ٣ - البيرونى     | ٩ - الخوارزمى |
| ٤ - جابر بن حيان | ١٠ - الإدريسى |
| ٥ - ابن البيطار  | ١١ - الدميرى  |
| ٦ - ابن بطوطة    | ١٢ - ابن رشد  |
| ١٣ - ابن ماجد    |               |

مركز الأهرام للترجمة والنشر  
مؤسسة الأهرام

التوزيع لى الداخل والخارج : وكالة الأهرام للتوزيع  
ش الجلاء - القاهرة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

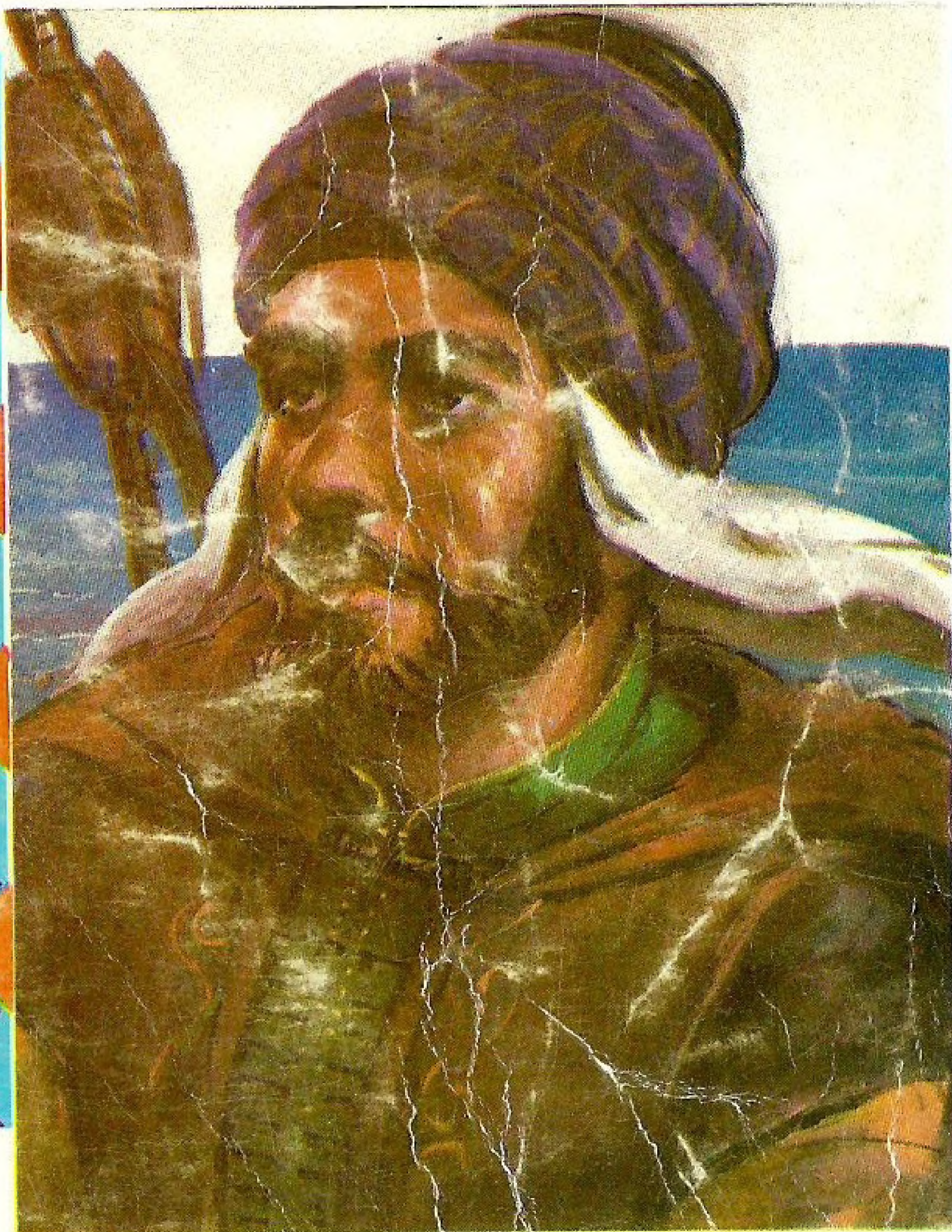


علماء  
العرب

١٢

# ابن ماجه

أسد البحار



تأليف : سليمان فياض  
رسوم : اسماعيل دياب

الأهرام  
مركز الأهرام  
للترجمة والنشر



سليم فياض

علماء  
العرب

( ١٣ )

# ابن ماجد

## أسد البحار



سليمان فياض





## ابن البحار

كانت الليلة من ليالى الصيف . وكان « أحمد » مايزال  
صبيًا فى العاشرة ، حين قال لأبيه « ماجد » :  
- خذني معك إلى البحر .

نظر ماجد إلى أم أحمد مستفسراً عن رأيها . فقالت :

الطبعة الأولى  
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثانية  
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر  
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء القاهرة  
تليفون : ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان



– اليوم أو غدا ، ستأخذه معك إلى البحر . ولا حيلة لي .  
فقد تزوجت بحاراً ، ابن بحار .

وضحك ماجد وقال ، وهو ينظر إلى ولده أحمد :

– سيكون أحمد بحاراً عظيماً ، وحفيداً لبَحَّارٍ عظيم .

كانت الأسرة جالسة في ساحة دارٍ صغيرة ، في بلدة  
« جُلفار » ( رأس الخيمة الآن بدولة الإمارات ) ، وماتزال  
أمامها بقايا العشاء ، من الفواكه والأسماك . وكانت النجوم  
تُومضُ في سماءٍ دانية ، وحدّق ماجد طويلاً في نجم الجاه  
( النجم القطبي الشمالي ) . وقال ماجد لوالده وزوجته :

– هذا النجم صديقُ النوتية ( الملاحين ) في كلِّ البحار .

ونام أحمد ليلته إلى جانب أبيه في ساحة الدار . وعند  
الفجر صُحبا مع أبيه ، وتوجها معاً لصلاة الفجر في مسجد  
« جُلفار » ، مع النوتية ، والصيادين ، وصنّاع السفن الكبيرة ،  
والزوارق الصغيرة . وقبل أن يدخل ماجد المسجد ، أشار  
لولده ، عبر مياه الخليج التي يتصاعدُ بخارها ، وقال :

– هناك ، وراء هذه المياه ، إلى جهة الشمال قليلاً ،

سوف ترى يوماً ميناءً سيراف ، على الشاطئ الفارسي .  
وحلم أحمد بأن يرى ما وراء البحار ، من الموانئ  
والشُطآن .

## ربّان البرّين

كان « ماجد » هو كبيرُ المعاملة ( الربانة ) العرب في  
زمانه ، في كلِّ موانئ الخليج العربي ، والبحر الأحمر ، والمحيط  
الهندي ، والبحر العربي ، على سواحل جزيرة العرب ،  
والساحل الشرقي لإفريقيا من مصر ، إلى السودان ،  
والصومال ، وكينيا ، وتانزانيا ، وموزمبيق ، والساحل  
الفارسي ، وسواحل الهند ، وسواحل جزر المحيط ، من جزيرة  
القمر ( مدغشقر ) إلى جزر المالديف ، وجاوه ، وسومطرة .  
فمنحه النوتية ( البحارة ) والمعاملة ( الربانة ) لقب « ربّان  
البرّين » : برّ العرب ، وبرّ العجم . وكان ماجد قد نظم  
أرجوزة شعرية في ألف بيت ، وصف فيها الملاحة في البحر  
الأحمر ، وحفظها ولده أحمد عن ظهر قلب .



« بسم الله مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا »

ورأى أباه يُصَلِّي ركعتين لله ، فهو ومن معه في البحر ،  
ضيوف الرحمن . وكانت السفينة تُعبر مضيقاً بالخليج ، يحتاج  
عبوره بين الصَّخُور ، والمجازِ الضيق ، إلى مهارة ، وماجدٌ يلزم  
صاحب الدفة ، يوجهه يُمَنَّةً ويُسرةً ، حتى خرجت السفينة بهم  
إلى البحر العربي الفسيح ( ماين عُمان والساحل الهندي ) .  
وأشار ماجدٌ لولده قائلاً :

— اذهب وتفرّج على السفينة ، ومن عليها من البحارة ،  
والمسافرين ، وسلّمهم عن أيّ شيء ، فسوف يجيئونك . فالناسُ  
في البحر ، غيرهم على البر ، يُصبحون إخوةً وأصدقاء .

## قالقووط

كانت السفينة تسيرُ في رِيح رُخاء ( طيبة ) مع تيارِ  
المحيط ، مُتجهةً إلى « رأس هيلي » و « قالقووط »  
( كلكتالآن ) ، على ساحل المليبار الهندي . تدفعها رياح  
« الدُّبُور » .



كانت السنة التي أبحر فيها ماجد بولده أحمد ، هي عامُ  
ألف وأربعمائة وأربعة وأربعين ميلادية . ولوّحت أمه مع  
الملّوحين بأيديهم مودّعين ، وأخذت سفينة أبيه تُقلع من الميناء  
وظلّ أحمد يرى أمّه ، وهي تنظرُ نحوه باسمة ، إلى أن توارث  
أمامه في المدى مع الناس والميناء ، وراء ضباب الصباح ، وكفَّ  
منادي البحارة عن إبلاغ أوامر أبيه بالصياح ، إلى صاحب  
السُّكّان ( الدفة ) وإلى بخارة القُلُوع على الصّواري . وسمعَ  
ماجدٌ صوت أبيه يتمتم قائلاً :



في ذلك النهار ، أخذ « أحمد » يرقب أسماك البحر الكبيرة والصغيرة ، وهي تقفز وتغوص ، كأنها فرحة بالبحر وبدفء الشمس ، وزرقة السماء ، وأصوات الأمواج الهادئة ، والمسافرين . وعلى رأسه كانت عمامة صغيرة لربان صغير ، وعلى وسطه كان زئار عريض ( حزام ) ، يحيط بخصره ، مثل البحارة الكبار .

## الدخول إلى المرسى

اقترب ساحل المليبار . بدا لعيني أحمد ، في الأفق البعيد ، وأسراب الطير تروح رائحة غادية ، بين السفن الراسية في عرض البحر ، القادمة من الصين ، والقادمة من جزر المالديف ، واندونيسيا ، وساحل الزنج الإفريقي . وكان الوقت عصراً ، حين أمر ماجد مساعديه ، فنادى المنادى بطى القلاع ، وإنزال البلد ( الهلب ) في أعماق البحر . وقال أحمد لأبيه :

— المرسى أمامنا في الأفق البعيد ، سنبلغه قبل الغروب .

فقال ماجد لولده :





— ألا ترى الرايات السوداء مرفوعة فوق السفن الراسية من حولنا ؟ الأمواج هائجة عند الشاطئء يا بنى ، وفى الدخول إلى المرسى ، مع الليل ، خطر شديد ، فهناك دائماً صخور على جوانب مرسى السفن .

مع الصباح ، كانت الأمواج العالية قد هدأت ، و سطح الماء صار خفيف الموج ، يتناوب سطحه بالوميض فى ضياء الشمس . وبدأت السفن فى رفع بلادها ( أهلابها ) من أعماق البحر ، والدخول واحدة إثر واحدة إلى ميناء قاليقوت ، على ساحل المليبار الهندى .

صعد رجال النول ( الجمارك ) إلى سطح سفينة أبيه ، وفحصوا البضائع وأوراق المسافرين ، وحصلوا النول ( الجمرك ) من أبيه ومن المسافرين ، من التجار والمتصوفة والسائحين ، والباحثين عن حياة جديدة ، فى بلاد جديدة ، طلباً للرزق .

ودَّهش ماجد حين رأى أباه يتحدث إلى رجال النول من الهنود بالسنسكريتية ، كأنه واحد من أبنائها . ونزل مع أبيه ومساعديه إلى الساحل ، حملهم إليه قارب ، تتبعه قوارب

أخرى ، تحمل بعض النوتية ، ونزلوا فى خان ( فندق صغير ) بالمدينة ، ثم صحبه أبوه إلى السوق ليرى الناس ، ويشترى مايشاء ، من ثياب وحلوى . وفى كل مكان ، كان الناس يعرفون أباه ، يحوونه بطريقتهم ، ويحييهم بطريقتهم ذاتها ، ضاماً كفيه إلى صدره ، منحنيّاً بعض الانحاء . وقال ماجد لولده : — فى كل ميناء تنزله يا بنى . افعل مثلما يفعل أهله . وتعلم لغتهم ، لتأمن الشر ، وسوء الفهم . وكل معهم من طعامهم ، وامدح لهم بلدهم ، واسلك مثل سلوكهم ، فيأمنوا لك ويألفوك ، وتأمن لهم ، وتأمنس بهم .

## عرائس البحر

وبات أحمد ليلته فى غرفة مع أبيه بالخان ، يسمع طوال الليل أصوات الأمواج ، وقد ضاعفها المد القمرى ، ويرى ، عبر النافذة ، البحر والأرض ، وقد صاراً بساطاً واحداً ، لاتفصلهما سوى أمواج عالية ، تومض فى ضوء القمر .

وفزع أحمد إذ رأى ، فى البعيد ، كائنات تخرج من



البحر ، وتتحرك على الشاطئ ، لاهية لاهية ، تبدو ذوات رؤوس وقامات مثل البشر . وقال له أبوه :

- هذه هي يابني عرائس البحر ، التي ينسج البحارة والمسافرون والقصاصون حولها الحكايات والأساطير ، ويؤلفون عنها قصصاً للحب بينها وبين البشر ، يبهرون بها الناس . لكنني اقتربت منها ذات ليلة ، وحققتها بنفسى ، نصفها الأسفل ذيل سمكة ، وليس لها ساقان ، ولها رأس ضئيل ، ووجه قبيح ، وعنق قصير ، وزعنفتان قصيرتان ، تبدو أن لك من بعيد مثل يدين . عجائب البحر يابني ، دونها عجائب البر . البحر يابني عالم حافل بالأسرار المجهولة ، التي لم نعرف بعد عنها الكثير .

## ريح الصبا

انتظر أحمد مع أبيه ماجد قرابة شهرين في الميناء . ورأى أحمد أباه ، يرفع عصاً قصيرة بيده ، وفي أعلاها قطعة قماش صغيرة كالعلم ، وفي الحال راحت القماشة تخفق في اتجاه الريح صوب الخليج . وكانت السماء ملبدة بسحب خفيفة . وسمع أباه يقول :

- الآن ، انفتح لنا غلق البحر ( طريق المجرى ) للعودة ، فقد هبت ريح الصبا ، لتحملنا رخاء ، بأمر الله ، إلى جلفار . مع ريح الدبور غادرت سفينة ماجد جلفار ، وهاهي تعود مع ريح الصبا إليه ، ويسمع أحمد أباه يقول لمعاونيه :

- فلنبحر عائدين بمشيئة الله .

في الحال ، توالى نداءات المندى ، فعلاً الرجال الصواري ، وانفردت في أعاليها القلوع ، واستدارت السفينة لتغادر ميناء قاليقوط ، وساحل المليبار ، محملة بتجار عائدین ، ومسافرين جُددًا ، وبضائع جديدة ، من الهند ، والصين ، والجزائر الجنوبية للهند .

## أسفار ولغات

وتعددت أسفار أحمد مع أبيه ماجد ، عبر السنين ، بين سواحل قارتين وجزائر البحار وموانئها ، وسواحل افريقية ، في سفالة ، وبر الزنج ، والهيراب ، والصومال ، وسواحل شبه الجزيرة العربية ، والجوزرات ، وفارس ، والمليبار ، والملايو ،



واندونيسيا ، وجزر سقطرى ، ومدغشقر ( كانت تسمى جزيرة القمر ) والمالديف ، واللكايف ، وخوزيا موزيا ، وكومورو ( تسمى حاليا جزر القمر وهى فى المحيط الهندى ) وهندرابى ، والبحرين ، وسرنديب ، ونيكوبار ، وسومطره ، وسيام ، وجاوه ، وجزر الساحل الافريقى ، وبحار القلزم ( البحر الأحمر ) ، وبحر الهند ، وبحر الخليج العربى ، وموانى وثغور فى شتى السواحل والجزر والشطآن ، تجاوز عدتها خمسة وأربعين ميناء .

وعرف أحمد من أبيه ماجد ، أسماء النجوم ومجاميعها الملاحيّة ، فهى صديقة البحارة فى البحار ، وعرف مواقعها فى السماء ، جنوبى خطّ الاستواء ، وشمالى خطّ الاستواء ، ومواقيت أفولها وغروبها فى ساعات بعينها من الليل ، ومتى يستفيد الرّبان فى مجرى الإبحار ، من هذا النّجم أو ذاك ، ليصحّ اتجاه الدفة والقلاع . وحفظ لها أحمد أسماء أكثر من أربعين نجماً .

وحين تكون سماء الليل شديدة الظلام ، كثيفة السحب السوداء ، كان أحمد يرى أباه ، يوقف السفينة ، وينزل الهلب ،





## ضيوف الرحمن

كان أحمد قد بلغ من العمر سبع عشرة سنة ، وصار فتى  
جمّ النشاط صحيح البنية ، متوقّد الذهن ، لوّح هواء البحر  
وجّهه بسمرة شديدة ، وجعلت أماً البحر الفسيحة عينه ذات  
بريق شديد . وعلمته مسئولياته على ظهر السفينة ، كيف يعيش  
في بساطة ، متفرّغاً لعمله ، وكيف يكون عفيف النفس ، زاهداً  
في المال ، حريصاً على نظافة السفينة ، حرصه على النظافة في  
جسده ، والطهارة في قلبه ونفسه . وكان يقول أبداً لمن حوله  
على ظهر السفينة :

— نحن في البحر ضيوف الرحمن ، ولا يضيع مضيف  
ضيوفه .

وأجلس ماجد ولده أحمد ، وقال له :

— كبرت يا بني ، وخبرت البحر والبلاد . وقد آن لي  
أن أعهد إليك بالمشاركة في توجيه الدّفة ، وهي أهم جزء في  
المركب ، وسوف أرقب ماتفعله بها في الليل وفي النهار .  
فالركب بدون توجيه صحيح لدفتها في شتى المواقف في البحر ،

ويطوى الشراع ، فلا شمس في السماء ، ولا نجوم تُرى في  
الفضاء ، يحدّد بها الاتجاه . وقد يتكرّر وقوف السفينة عن  
الحركة ، ليلة إثر ليلة ، وربما نهراً إثر نهار ، في فصل الشتاء .  
وسفرة بعد سفرة ، تعلم أحمد من أبيه ، كيف يُداوى  
على ظهر السفينة من يصابه مرض من أمراض الجسد  
بالأعشاب ، وكيف يصبر ويضحك من يشتدّ به الحنين في  
أسفاره ، للأهل وللشيطان ، أو يُسند إليه عملاً بالسفينة ، يشغله  
به عن الحنين ، أو يُشركه في حياة جماعية مع المسافرين ،  
وكيف يعرف مواقيت الصلاة في البحر ، وفنون تجاوز الدوامات  
والنوافير البحرية ، والعواصف والأثواء .

وأفاد أحمد الكثير من أبيه ومن الأسفار والمسافرين ،  
والأصدقاء في الموانئ والثغور ، فعرف كيف يتحدث ، مع لغته  
العربية ، باللغات السنسكريتية ، والجاوية ، والسواحلية ،  
والفارسية ، خلال سبع سنوات ، منذ إبحاره مع أبيه لأول  
مرة .



ضائعة هي ومن عليها ، بالتيه في ضباب البحار العميقة ، أو بالغرق حين تعلو الأمواج ، أو حين تدخل السفينة بين الصخور والدوامات .

ولم يخف أحمد فرحته ، لكنه قال :

- ومتى تعلمنى القياسات الملاحية البحرية .

فضحك أبوه ، وقال :

- في اليوم الذي تصبح فيه خبيراً بالدفة ، خبرتك بسائر أعمال البحارة الأخرى ، سأعلمك القياسات الملاحية البحرية ، بالأدوات الفلكية ، للأبعاد والارتفاعات ، وخطوط الطول والعرض . وقد لا يحدث ذلك الدرس يا بني قبل عشر سنوات .

## أسد البحر

وبلغ أحمد من العمر سبعا وعشرين سنة ، وهو يسيطر على دفة السفينة بمهارة ، ويتعلم الكثير من أبيه عن أدوات القياسات البحرية الملاحية الفلكية ، وطرق استخدامها ، وفي مقدمتها آلة « الاسطرلاب » ( آلة لقياس زاوية ارتفاع الأجرام

فوق الأفق ) وأجزائها ، وعن الزام ( وحدة لقياس المسافات الفسيحة في البحر ) ، وعن الرهمانج ( المرشد الملاحي للربان ) ، وعن الكمال ( آلة لقياس ارتفاع النجم على زاوية الرصد ) . وذات ليلة قال له أبوه :

- الآن يا بني . صرت معلماً ( ربّانا ) من معالم البحار ، وسأُسند إليك مهمة بحرية ، تتقطع دونها رقاب النوتيّة . مع الصّباح ستكون نائبي في قيادة هذه السفينة . ستظل في هذه المرتبة بضع سنين . وحين أطمئن إلى دورك في قيادة السفينة ، وفي كل البحار ، سأُنزل لك عن دوري كربان ، وسأظل معك في كل أسفارك ، أشير عليك بين الحين والحين . فلا أحب ، إذا وافاني أجلى ، أن أكون بعيداً عنك في برّ أو بحر .

وكان أحمد قد انتهى من تأليف أرجوزة شعرية ، عنوانها : « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » . وضحك منه أبوه ، وهو يقرأ تحت العنوان ، بخط ولده : « تصنيف أسد البحر الزخار : شهاب الدين أحمد بن ماجد ... بن أبي الركايب السعدي » . وقال له باستنكار :



## طريق إلى الصين

وبلغ أحمد بن ماجد من العمر ثلاثين سنة ، وصار رباناً ماهراً لسفينة أبيه ، وصارت تتبعه سفن أخرى ، لأصحاب سفن آخرين ، وربابنة سواه ، ثقة بقيادته الماهرة ، وخبرته بالبحار .

وفى أحد أسفار أحمد إلى الملايو ، جاءته رحلة خطيرة ، اهتز لها قلبه ، وكان أبوه مايزال معه على ظهر سفينته . كانت رحلة بحرية عبر منعطفات الجزر حول الفلبين ، إلى بحر الصين ، وموانئ الصين . ولأذ أحمد لفوره بأبيه ، مستنجداً بمشورته ، راجياً ألا يحرمه من هذه الرحلة ، ليزيد خبرة بالبحر ، في بحر الصين الهائج معظم العام ، الشديد العواصف والأثواء ، ويرى موانئ لم يرها من قبل ، ويحمل تجارات ومسافرين من الصين ، وإلى الصين ، فلا تكون السفن العربية ، ولا المسافرون ، ولا التجار ، بحاجة إلى سفن الصين ، بين الهند والصين ، وتتواصل المسافات بالسفن العربية ، من سواحل عمان ، والممالك العربية ، في افريقية



— أسد البحر الزخار ؟ والمعلم ؟ أتمدح نفسك ، وتتعجل

الرتبة ؟

لكن ماجداً ، في ذلك النهار ، احتفل على ظهر السفينة ، بتنصيب ابنه رباناً لها ، فقادها لأول مرة في الأسفار ، ينام ساعات من النهار ، ويظل ليلة ساهرا بجانب صاحب السكان ، يحدثه ، وقيس ارتفاعات النجوم ، ويوجه حركة الدفة من حين إلى حين ، ويأشُر أحوال المرضى والأصحاء ، والنساء والأطفال ، لا يكف عن الحركة هنا وهناك ، ثم يعود للجلوس مع صاحب الدفة ، وأبوه يرقب حركته وسكونه ، سعيداً وراضياً .



واليمن ، إلى الهند ، والصين ، دون انقطاع . وقال له أبوه  
مُشفقاً وفرحاً :

- نحنُ ضيوفُ الرحمن ، كما تقولُ يابني ، في كلِّ  
البحار . على بركةِ الله رحلتك هذه ، وأنا معك ، لأرى أهلَ  
الصين ، وموانئِ الصين ، لكنَّ لي شرطاً واحداً يا ولدي ، أن  
تستعينَ بنائبِ ربانٍ معك ، من بحارةِ الصين ذوى الخبرة ،  
وسوف نرى عن قُرب ، مدى خبرتك مع بحرٍ جديد .

## السمة العجبة

نبحثُ رحلةَ أحمدُ بنِ ماجد إلى الصين ، ورأى فيها  
أحمدُ ، ومن معه ، أهوالاً بحرية ، كان يتحدث عنها ربانة الهند  
والصين ، والعائدون من الصين . وعدّها أحمدُ رحلةَ عمره  
الأولى ، فأخذَ يجوب بسفينته الموانئ على بحرِ الصين الجنوبي ،  
وبحرِ المهرّاج ، وجزائرها .

ورأى أحمدُ في ميناءِ خائفو ( كانتون ) رجلاً صينياً ،  
يحملُ مغناطيساً له شكلُ السمكة ، يضعه على لوحٍ خشبي فوق  
الأرض ، فتتحرك السمكة متجهةً برأسها إلى جهة الشمال ،





وكلما أدار الصّيني اللوح بالسّمكة ، عادت السمكة لتُعَدّل موضعها ، جهة الشمال . وقال الصيني لأحمد بن ماجد :

- بهذا المغناطيس ، نساfer ليلا بين البلاد ، في أنحاء الصين ، فنعرف بجهة الشمال كلّ الجهات ، في ظلام الليل ، حين تختفي النجوم وراء السحب .

وأحسن أحمد بأنّه يلهث ، واشترى سمكة المغناطيس من الصيني وأسماكاً مغناطيسيةً أخرى ، من متجرٍ صينيّ في الميناء ، وسارع إلى أبيه في مرسى الميناء ، وأزاه سمكة المغناطيس العجيبة ، صديقة الشمال برأسها ، وصديقة الجنوب بذيلها ، أينما وضعها . وقال أحمد لأبيه :

- الأرض هي الأرض ، في البر والبحر . من الآن ، لن تتوقّف السفنُ العربيّة ، وتلقى مراسيها في عرض البحر ، بسبب من ظلام الليل ، أو اختفاء النجوم .

فقال له ماجد :

- نعم يا بني . ذلك أمرٌ صحيح فيما أرى . لكنني أعجب : لماذا لم يستخدم ربابنة الصّين هذه السمكة المغناطيسية في أسفارهم البحرية ؟

وفكر أحمد وقال :

- لاسبب عندي أراه ، لإهمالهم منفعتها في البحر ، سوى أمرٍ واحد هو : عدم وجود خطوط وأقسام لعروض الأرض ، حول هذه السمكة ، وأحسب أن بوسعي عملها ، على لوح السّمكة . وأضع هذا اللوح ، وعليه السمكة ، في حُقة محكمة ، بها ماء ، وأثبت السمكة بمحور في اللوح ، فتتحرك به على الماء .

عندئذ عانق ماجد ولده أحمد ، قائلاً له :

- بوركت يا بني ، وبورك عقلك ، وبورك رحلتنا هذه . فاجعل هذه السمكة سرّك كربّان ، في ظلّ البحار ، فلا يعرفه أحدٌ سواك ، وسوى الربابنة العرب .

## الكتاب الأم

وعاد أحمد بسفينته وأبيه ، عبر الموانئ مجتازاً بحار الصين ، والهند ، والعرب ، إلى جُلْفار .

كانت جُلْفار ، مثل سائر بلدان عمان ، الممتدة من الإمارات العربية المتحدة الآن إلى حضر موت ، تعيش في ظلّ



حُكْم الأئمة الجلنديين الأباضيّين ، منذُ ثمانية قرون ، وكانت مدينة « نَزْوَى » هى عاصمة هؤلاء الأئمة . وحول عمان ، فى القرن الهجرى التاسع الميلادى الخامس عشر ، كانت فارس ، والهند ، وأواسطُ آسيا ، ومعظمُ آسيا الصغرى ، خاضعةً لحكم امبراطوريات مغوليّة ثلاث ، وكان العالمُ العربى خاضعاً لحكم بنى رسول فى اليمن ، وحضر موت ، وكان المماليكُ البحريّة يحكمون مصرَ والشام والحجاز ، وكان الحفصيّون فى تونس والجزائر ، والمرينيّون فى المغرب .

كانت شواطىء عمان ، قد تعرضت فى تاريخها القريب والبعيد ، لغزوات الفاتحين من الفُرس ، وهجرات المهاجرين من الهنود ، والزنوج ، والأحباش ، فاختلطت بين أهلها اللغات ، فضُعفت اللغة العربية بين أهلها حديثاً وكتابة ، وساد السّجع المُفتعل فى كتابات النثر ، ونُظمت علوم ذلك الزّمان ، الطبيعىة ، والاجتماعية ، واللغويّة ، والدينية ، فى أراجيزٍ شعريّة .

وفاجأ أحمد أباه ذات ليلة ، وهما جالسان ، فى شرفة بدارهما فى جلفار ، بكتابٍ قدّمه إليه . فأخذَ ماجد الكتاب ، وقال له بعتاب ، وهو ينظرُ فى اللحظة نفسها إلى أمّه :

— أهذا هو ديوانُ أشعارك الغزلية ، فى البحر ، وعرائس البحر ، وزُرقة البحر والسماء . وددت لو كتبت خبرتك كربان فى مرشدٍ ملاحى هام ، لغيرك من بحارة الأرض .

وابتسم أحمدُ صامتاً . وفتحَ ماجد الكتاب ، وقرأ على غلافه الداخلى ، بدهشة ، هذا العنوان : « الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد » . فنظرَ إلى أمِّ أحمد ، ثم إلى أحمد ، وقال :

— متى بدأت فى كتابة هذا الكتاب ؟

فقال أحمد :

— منذُ أربع سنوات . وقد راجعته وأتممت مراجعته ، ونحنُ عائدان من الصين .

## سهرة مع كتاب

كان الكتابُ يحتوى على مقدمة فى علم البحر ، ودعوة للربانة لدراسته ، ثم على إحدى عشرة فائدة ( فصلاً ) ، عن ربانة البحر المشهورين السابقين : محمد بن شاذان ، وسهلُ ابنُ أبان ، وليثُ بن كهلان ، وأنه هو رابعهم ، وعن إعداد السفينة



قَبْلَ الْإِبْحَارِ ، وَعَنْ وَاجِبَاتِ الرِّبَّانِ وَالْبَحَارَةِ ، وَعَنْ الْآلَاتِ  
 الْمَلَاحِيَةِ عَلَى السَّفِينَةِ ، وَعَنْ مَطَالِعِ النُّجُومِ وَمَغَارِبِهَا وَأَوْقَاتِهَا ،  
 وَعَنْ إِشَارَاتِ وَعَلَامَاتِ قُرْبِ الشَّوْاطِئِ فِي قَاعِ الْبَحْرِ  
 وَحَيَوَانَاتِهِ وَأَسْمَاكِه ، وَعَنِ الْمَرَاجِعِ الْفَنِيَّةِ فِي الْجُغْرَافِيَا الْوَصْفِيَّةِ  
 وَالْفَلَكيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ الَّتِي يَجْدُرُ بِالرِّبَّانِيَّةِ قَرَاءَتَهَا . وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، أَوْ عَلَى السَّفِينَةِ ، تَحْتَمُّ مَعْرِفَتَهُ عَلَى الرِّبَّانِ .  
 وَفِي الصَّبَاحِ ، قَالَ مَاجِدٌ لِابْنِهِ أَحْمَدَ :

— سَهَرْتُ لَيْلَتِي مَعَ كِتَابِكَ . أَخِيرًا وَضَعْتُ لِنَفْسِكَ وَلِمَنْ  
 بَعْدَكَ مَرَشِدًا فِي الْمَلَاحَةِ ، لَا تَجَاوِزُ صَفْحَاتِهِ الْمَائَتَيْنِ . وَعَلَيْكَ  
 مُعَاوَدَةٌ تَنْقِيحُهُ ( تَهْذِيبُهُ ) وَتَطْوِيرُهُ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهِ ، خِلَالَ  
 أَسْفَارِكَ الْمُقْبِلَةِ . هَذَا هُوَ ، يَا أَحْمَدُ ، كِتَابُكَ الْأُمُّ الَّذِي سَيُنَاطِحُ  
 كُلَّ مَا يَأْتِي بَعْدَهُ مِنْ كِتَابِكَ ، أَوْ كُتُبِ سِوَاكَ ، فِي عُلُومِ الْبَحْرِ  
 وَفَنُونِهِ .

وَكَانَ ابْنُ مَاجِدٍ قَدْ بَدَأَ كِتَابَهُ الصَّغِيرَ الْحَجْمِ ، وَعَمُرُهُ  
 اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَظَلَّ فِي تَدْوِينِهِ وَمَرَاجَعَتِهِ بَقِيَّةَ عَمْرِهِ ،  
 فَقَدْ أَعَادَ كِتَابَتَهُ مَرَّةً وَعَمْرُهُ خَمْسُ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، ثُمَّ أَعَادَ كِتَابَتَهُ  
 مَرَّةً ثَانِيَةً وَأَخِيرَةً ، وَعَمْرُهُ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً .





وقال له أبوه :

- هذا الكتاب خير من كتابك السابق « حاوية الاختصار » . الحاوية أرجوزة شعرية ، صعبة المنال بنظمها . أما كتابك « الفوائد » ، فهو جامع للفوائد حقاً ، وبلغه يعرفها كل الربانة ، والبحارة ، والتجار ، في كل العصور والبلدان .

## الطائر الأزرق

وتعددت أسفار أحمد بن ماجد وحده ، فقد بلغ أبوه من تقدم العمر ، وضعف البدن ، حداً جعله يبقى مع أم أحمد في جلفار . ينظر إلى مياه الخليج مودعاً ، ومنتظراً ، ومستقبلاً ولده أحمد ، كلما سافر ، أو غاب ، أو عاد .

كانت تتوفر في أحمد بن ماجد صفات الربان الإنسانية والخلقية ، وكان يعرف فيضاً غزيراً من الفنون الملاحية . وعلم الفلك ، والرياضة ، يعرف بها جميعاً طريقه في البحر ، في النهار وفي الليل ، وبالقرب من السواحل ، وفي أعالي البحار ، ويعرف أن كل الأخطاء في العلوم ، وعلى البر ، تُغتفر إلا خطأ الربان . وكان ماجد يعرف كل ذلك عن ولده ، ويعرف أنه ليس رباناً

قليل الخبرة ، وأنه ربان حاذق وماهر ، بل وربان خبير لا يخفى عليه شيء من مشكلات الإبحار والبحار . ومع ذلك فقلب الأب ، بين جنبيه ، لا يفتأ قلماً ، كلما باعدت بينه وبين ولده الأسفار .

كان أحمد بن ماجد يرى البحار والبرور ، والسواحل والشطآن والجزر والخلجان ، وكأنه يراها لأول مرة ، هو الذي رآها من قبل مرات ومرات ، إلى درجة أنه كان يتعرف عليها وهو في عرض البحر ، ولم ترها بعد عيناه ، يعرفها بروائح الرياح ، وألوان المياه ، وبنوع الطين ، وأشكال الصخور ، وشعاب المرجان ، والطحالب ، والأسماك ، والحيوانات البحرية ، وقناديل البحر المضيئة التي يقرأ في الليل المظلم ، على ضوءها ، صفحات من كتاب . ويعرفها بقمم الجبال والرؤوس البارزة ، وتعاريج الشطآن ، ومطالع النجوم ومغاربها ، وحركة الرياح والدوامات والفوارت البحرية ، ويحدد بكل ما يراه مسافات البعد أو القرب ، قبل الوصول إلى الشطآن . رأى مرة ، وهو صغير ، طائر « أم الصناني » وهو في عرض البحر ، ولا شاطئ يرى بعد ، كان طائراً أزرق ، ذا بطن بيضاء ،



تكدّرها الزُّرقة ، فصاح :

— نحن نقرب من جزيرة سُقْطرى ، وبيننا وبينها مسيرة

نهار .

وعجب أبوه آنذاك ، فسأله :

— هذه هى المرّة الثانية التى نُقبل فيها معاً من الجنوبِ

نحو هذه الجزيرة ، فكيف عرفت ؟

فقال أحمد بهدوءٍ مشيراً بيده إلى سِرْب من طيور أمّ

الصّنانى :

— بهذه الطيور . رأيتها من قبل ، فى هذا المكان ، لأول

مرة ، ونحن على مسافةٍ نهار .

فقال له أبوه :

— صدقت . ستكون حقاً أسدّ البحار .

لكن أباه نَسى ماقاله ، ولذلك عجب لوصفه نفسه بأسدّ

البحار ، فى كتابه « حاوية الاختصار » .

## قدوم الغزاة

وجاء يوم ، دخل ابن ماجد فيه بسفينته ، وملاحيه ، إلى

ميناء « ماليندى » بكامبيا ( كينيا الآن ) ، وكانت بين حاكمها

وحاكم مدينة « مُمبِسَة » ( فى الجنوب منها ) خصومةً قديمة ،

ومنافسة على السّلطان ، فى الساحل الزنجى ، الممتد من الصومال

إلى موزمبيق ، ورأى أحمد سفينتين بحريّتين حربيتين ، تحملان

أعلاماً أفرنجية ، وقد ألقتا بمراسيهما بعيداً عن الميناء ، والقواربُ

الأفرنجية رائحةٌ وغاديةٌ ، بين هاتين السفينتين ومدينة ماليندى .

وسأل أحمد بن ماجد ، قائلاً :

— لمن هذه المراكب ؟

ف قيل له :

— هذه سفنُ البرتقال ( البرتغال ) .

وعرف أحمد من بحارة الميناء ، أن هذه السفن تأتى للمرّة

الأولى ، إلى هذه الناحية ، مجتازةً مياه بحر الظلمات فى الساحلِ

الغربى لأفريقية ، ومارةً برأس الرجاء الصالح ، ولا يعرف أحدٌ

وجهتها بعد ، وأن سَفُنًا قبلها للبرتقال ، قد جاءت قبل عشرِ



وأنه قابله بترحاب ، وصارا صديقين ، وتبادلاً الهدايا ، وأنه وثق به ، وزاره في مركبه هو وأخوه ، فأخذ يسأله عن المسافة إلى الهند ، فأخبره بأنها ستمائة فرسخ ، فذكر له القائد الغريب أنه ينتظر موسم الإبحار إلى الهند .

وقال حاكم ماليندى لابن ماجد :

— له معنا في عرض البحر ، إلى الآن ، أكثر من شهر ، وكان يتردد على ولا أتردد عليه ، ويطلب منى ملحا ربانا ماهراً ، عارفاً بالطريق إلى الهند ، ولا أجيبه إلى طلبه .

فقال ابن ماجد باستنكار :

— الطريق إلى الهند ؟ لماذا ؟ بضائعهم تحمل من بلادهم ، من البندقية ، وجنوه ، وجزر بحر الروم ( المتوسط ) إلى مصر ، ونحملها في بحر القلزم من مصر ، إلى الهند ، والصين ، ونرسل إليهم عبر مصر ، وبحر الروم ، كل بضائع الشرق ، لماذا ؟ أخذوا منا الأندلس ( اسبانيا والبرتغال ) فماذا يريدون بقدمهم ومراكبهم ؟ الهند ؟! وماذا بعد الهند ، سوى الطريق إلى الهند ؟!

فقال حاكم ماليندى لابن ماجد :



سنوات ، لكنها دخلت في رأس العواصف ( رأس الرجاء الصالح ) ، وغرق الكثير منها في العاصفة ، فعادت بقيتها إلى بلادها .

## رعب الحاكم

وسارع ابن ماجد إلى صديقه حاكم ماليندى العربى ، فوجده في محنة يرثى لها ، فقائد هذه السفن البرتغالية أمير بحر ، معه سفينتان حربيتان من سفن « الغراب » ( الكرافل الآن ) ،



## الخدعة الكبرى

ولقي ابن ماجد الربان البرتغالي في قمرته ، وأكرمه أمير البحر ، وأجلسه معه ، وكان ثالثهما هو قريب حاكم ماليندى ، ورابعهم هو المترجم الماليندى .

وقال فاسكودى جاما لابن ماجد :

— أرنا ماعندك ، ونريك . ماعندنا ، من أدوات البحر . فقال له ابن ماجد :

— أطلق أولاً سراح هذا الرجل . ثم نجلس ليلتنا نتحدث ، أعرف ماعندك ، وتعرف ماعندى ، وأذكر لك ماينقصك فى سفرك إلى الهند .

وأمر فاسكودى جاما نائبه ، فأطلق سراح الرهينة الأسير ، وحمله القارب إلى الشاطئ . وجلس الاثنان يتحدثان ، ونثر كلاهما أدواته البحرية للآخر ، وبهر « فاسكو » بتقديم أدوات الملاحة العربية ، ودقة حساباتها ، وكان يعرف الكثير منها من عرب المغرب ، وعرب الأندلس ، لكن معرفتهم كانت

— أعرف ذلك كله يأسد البحار . لم تفلح معى تلميحاته بالانحياز إلى حاكم ممبسه ، فلجأ إلى حيلة قدرة : زاره دون علمى وإذنى ، قريب من أهل بيتى ، أثق به ، وأعتمد عليه ، فاحتجزه لديه رهينة ، إلى أن أبعث إليه بربان قدير ، يسأله عن الطريق إلى الهند ، وكيف يصل إليها سالماً .

وحزن ابن ماجد لحزن صديقه حاكم ماليندى ، فقال له :

— سأذهب إليه فى سفينته ، وأدله على طريق إلى الهند ، أرجو ألا يعود منه ، ولا يصل إليها قط . فقال له حاكم ماليندى شاكرًا وممتنًا :

— كن معه على حذر . إنه رجل متوسط الذكاء والتعليم ، ولكنه قوى العزم ، شديد المكر والحزم . وقد هلكت له سفينتان فى رأس العواصف ، فلم يتردد فى القدوم إلى هذا الساحل بالسفيتين الأخريين . واسمه فيما قاله لى : فاسكودى جاما . وخذ معك مترجمى الخاص ، فهو يعرف لغة الفرنجة . وتذكر . لأريد أن أفقدك ، أو أفقد قريبى ، فالبرتغاليون مسلحون ، ولا قبل لنا بحربهم ، إذا خرجنا إليهم .



تقفُ قاصِرة دَوْنَ معارفِ هذا الرِّبَانِ العُمانِيِّ الماهرِ . وقال  
فاسكو دى جاما لابن ماجد :

- لم تُرِنِي السِّمَكَةَ المغناطيسية التي يتحدث بحارة العرب  
عن حيازتك لها ، واحتفاظك بسرّها .

لم يكن ابن ماجد ممن يحتفظون لأنفسهم بسرّ ملاحى ،  
فالربّانة كلّهم في بحار المحيط الهندي يعرفونها بفضله . وأطلع  
ابن ماجد أمير البحر البرتغاليّ على سمكته المغناطيسية في حقّها ،  
والقوس المدرّج على لوحها ، يشير إلى مواقع النجوم وأسمائها ،  
وخطوط العرض عليها . وبُهر فاسكو دى جاما ، واتخذ قراره .  
حدّث نفسه : « هذا الرجل غايّتى » وأوماً إلى نائبه ، فأغلقت  
القُمرّة ، دون أن يشعر ابن ماجد ، وشرب من يد فاسكو دى  
جاما شراباً ، لاطعم له من حلاوة أو مرارة ، وثقلت عيناه  
بالنوم ، فأرقده فاسكو دى جاما على سريرهِ ، في قُمرته .

## الأسد الأسير

وفي الصباح ، وجد ابن ماجد نفسه ، وقد خرج إلى  
ظهر السفينة ، ظانّاً أنه سيعودُ إلى ماليندى ، محاطاً بالحُرّاسِ





المدججين بالسلاح ، ورأى الأشربة مُنتفخةً بالهواء ، وشاطىء  
ماليندى قد غاب كله عن البصر . وأدرك ابن ماجد أنه الآن  
أسير لفاسكو دى جاما ، ومرشدُه إلى طريق الهند ، شاء  
أو أبى .

واقترَب منه أمير البحر البرتغالى قائلاً :

— الآن أنت مُرشدى ، وربّان سفينتى . ولسوف أصِلُ  
إلى الهند ، بأدواتك هذه وسمكتك ، وبك أوبدونك ، ولا سبيل  
لك معى للهَرَب ، ولا لطلب الموت بيدك ، أو بالغرق فى  
البحر . سأعوّضُك بمالٍ وفير ، يعدل ، أيها الربّان العجوز الذى  
يحتاجُ إلى الراحة ، كلّ ما كسبته ، وكلّ ما لم تكسبه فى  
حياتك . وإن هلكنا هلكنا معاً ، وإن نجونا نجونا معاً .

واستسلم ابن ماجد للقضاء . وكانت السفينتان  
البرتغاليتان ، قد أبحرتا من ماليندى فى اليوم الرابع والعشرين  
من شهر إبريل ، عام ألف وأربعمائة وثمانية وتسعين ، وقد بلغ  
أحمد بن ماجد ، أسد البحار الأسير ، من العمر ، نحواً من خمس  
وستين سنة ، وكان أبوه ماجد قد ودّع الدنيا قبل سنين ، فلم  
يعش ليرى عجز ولده أسد البحار ، مؤلف « حاوية

الاختصار » ، و « الفوائد » وأراجيز شعرية أخرى ، فى علم  
البحر .

ووصلت سفن البرتغال فى خطّ مستقيم كالسهم ، إلى  
ميناء ماليندى بعد اثنين وعشرين يوماً ، واستولى « فاسكو »  
عندئذ ، على أدوات ابن ماجد الملاحية ومخطوطاته البحرية ، ولم  
يطلق سراحه إلا وهو يرحل عن الهند بسفينتيه ، المحملتين  
بالتوابل ، أنزله إلى قاربٍ منحه له بعد مغادرته لمرسى الميناء ،  
ووضع معه فى القارب المال الذى كان قد وعده به من قبل .

## سنوات الحزن

ولجأ ابن ماجد إلى صديق له مفتش جمارك مسلم ، اسمه  
« أبوسعيد » بيّثه همه ، وانتظر عنده حزناً سفيناً تُبحر به بعد  
حين إلى ماليندى ، حيث ترك سفينته ورجاله . وأخذ يفكر  
حائراً : هل غدر حاكم ماليندى به ، فداءً لقريبه الأسير ،  
وتفادياً لحربٍ لا قبلَ له بها ، أم أن فاسكو دى جاما قد غدر  
بهما معاً ؟! ولم تعرف عينا ابن ماجد منذ تلك الليلة هناء النوم ،  
وتوقع شرور الدنيا بأسرها ، لسواحل الهند ، والزنج ،



والعرب ، لكنّ ابن ماجد لم يتوقّف قطّ عن الإبحار ، وتأليف الأراجيز الشعرية ، وكان البرتغاليّون قد عرفوا الطريق إلى الهند ، وإلى الثراء من التوابل .

وخلال الأسفار ، كانت الأخبار تصل إلى ابن ماجد ، بعد عامين اثنين من أسر البرتغاليين له . فالبرتغاليّون ، يؤمّنون الطريق إلى الهند ، ويحتلّون جزيرة القمر ( مدغشقر ) ، وموزمبيق ، وساحل الزنج ، وسفالة ، بما وراءهم من إمدادات ، وبما معهم من بنادق ، ومدافع ، وبارود ، لاعهد للأفارقة والعرب بها ، والبرتغاليّون يعودون لقاليقوط ، ويضربون مقاومة الهنود والعرب لهم بالمدافع ، وفاسكودي جاما يعيّن نفسه حاكماً عاماً للهند ، ويحرق مراكب المسلمين ، ويستولى على ما فيها من توابل وبضائع ، والبرتغاليّون يغلقون مدخل بحر القلزم ( باب المندب بالبحر الأحمر ) ويستولون على مناطق عدن ، وسواحل عمان وهرموز ، ويغلقون مضيق هرمز في وجه الملاحة العربية والهندية معا .

عندئذ ، وهن عزم أسد البحار ، فلاذ بالميناء المهجور لجلفار . يكتب فيما بقي له من سنين العمر آخر كتبه في علم

البحر ، وهو « الأرجوزة الخمسة » .

وآوى ابن ماجد ذات ليلة إلى فراشه ، يرثو إلى الميناء المهجور ، والسفن الحبيسة الخالية ، حتى من الأشرعة ، عبر نافذة مفتوحة ، والقمر مايزال يبرغ كعهده في كل ليلة ، وأطبق ابن ماجد ، أسد البحار ، جفنيه إلى الأبد ، فلا هو ، ولا العرب ، ولا الزنج ، بقادرين على الوقوف في وجه الطوفان ، الوافد من بلاد الجليد ، والعواصف ، وراء بحر الروم ، مزوداً بالمدافع ، والبنادق ، والبارود .

في الربع الأول ، من القرن العشرين ، نشر المستشرق الفرنسي « جبريل فران » مخطوطاً عربياً قديماً ، يضمّ تسعة عشر كتاباً في الملاحة البحرية الفلكية لابن ماجد الملاح العربي ، من بين كتبه التي جاوزت الثلاثين ، ولم يُعثر على سائرها بعد . وتعد هذه الكتب أهم وثيقة ، في كلّ اللغات ، في الجغرافيا البحرية الفلكية قبل بدء عصر النهضة الأوروبية الحديثة . وفي هذا المخطوط ، تحدّث ابن ماجد عن الملاحة في البحار الجنوبية ، بالمحيط الهندي ، والملاحة في البحر الأحمر ، وذكر لأول مرة



اسم علم جديد ، هو : « علم البحر » المعروف لنا الآن باسم « الاقيا نوجرافيا » أو « الاقيانولوجيا » . وقد ألقى هذا المخطوط الضوء على مقدار تقدم العرب ، في فنون البحر ، والملاحة البحرية ، عبر الليل والنهار والفصول الأربعة ، وعلى مقدار تأثير البرتغاليين والأوربيين بالتعاليم والتقاليد البحرية العربية في البحار عامة ، وفي المحيط الهندي خاصة . والمصطلحات التي وردت في هذه الكتب ، هي ، في حد ذاتها ، ثروة كبرى للغة العربية ، على طريق تعريب العلوم ، ومصطلحات العلوم ، في العصر الحديث .

وفي نهاية العقد الثاني من القرن العشرين ، عثر المستشرق الروسي : « كراتشكوفسكى » على ثلاث أراجيز شعرية أخرى لابن ماجد ، فقام بالتعليق عليها ونشرها مستشرق روسي آخر ، هو « تيودور شوموفسكى » .

كان أمراء البحر الأتراك ، الذين ساهموا ، في منتصف القرن الميلادي السادس عشر ، في طرد البرتغاليين من الموانئ العربية ، شديدي العناية بكتابات ابن ماجد البحرية ، مثل عناية

المستشرقين الأوربيين بها ، من الروسيين ، والسويسريين ، والألمان ، والفرنسيين ، والهولنديين .

وفي الوطن العربي ، توالى كتابات الكتاب العرب عن ابن ماجد الملاح العربي ، في المجلات العربية ، في دمشق ، والقاهرة ، والرياض ، وجدة ، والموصل ، وبغداد ، والقاهرة ، ولا نكاد نفتح مرجعاً عربياً أو أجنبياً ، من المراجع الجغرافية البحرية ، أو من كتب العجائب والرحلات البحرية ، إلا ونجد فيه ذكراً للملاحين العرب ، وفي مقدمتهم ابن ماجد الملاح .

وفي عام ألف وتسعمائة وستة وستين ، ألقى الدكتور « أنور عبد العليم » بحثاً عن « ابن ماجد وأعماله » في المؤتمر الدولي الأول لتاريخ علوم البحار ، الذي انعقد بإمارة « موناكو » . وكان قد نُشر له ، قبل شهر ، بالقاهرة كتاب عن « ابن ماجد الملاح » صدر في سلسلة « أعلام العرب » .

ينتمي شهاب الدين أحمد بن ماجد ، العُماني المولد والنشأة ، في ميناء جلفار ( رأس الخيمة بالإمارات الآن ) ، إلى بني تميم ، في بلدة « ثادق » بنجد ، وهي إحدى قرى إقليم

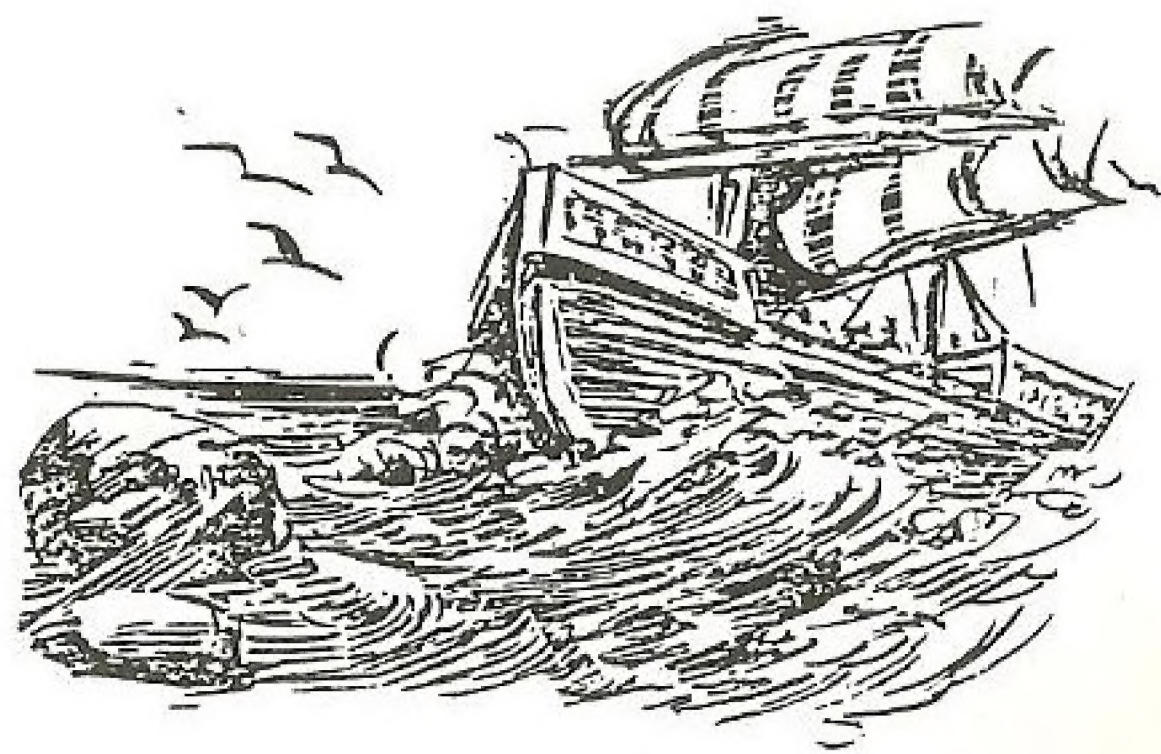


« المحمل » ، شمالي غربي الرياض ، وماتزال عائلته تعرف في قرية « ثادق » ب « أولاد النواخذ » ( الربانة ) . وذلك ما حققه الكاتبان السعوديان : الشيخ « حمد الجاسر » ، والأديب « عبد الله الماجد » .

في عام ثمانمائة وثمانية وثلاثين هجرية ، ألف وأربعمائة وأربعة وثلاثين ميلادية ، كان ميلاد « ابن ماجد » أسد البحار الجنوبية . وفي عام تسعمائة وثلاثة عشر هجرية ، تقريبا ، ألف وخمسمائة وسبعة ميلادية ، كانت وفاته من عمر يناهز سبعين سنة .

ولسوف تحين ذكرى ميلاد ابن ماجد أو وفاته ، في عام من أعوام القرن الحادي والعشرين . وهي الذكرى التي ينبغي لنا نحن العرب الاحتفال بها ، في مؤتمر دولي ثقافي ، يُعقد إحياءً لذكرى أسد البحار ، في مدينة رأس الخيمة بالإمارات العربية المتحدة ، وتُلقى في هذا المؤتمر الدراسات والأبحاث ، وتُنشر موسوعة ضخمة لتراثه ، ويُجمع في مجلد كل ما كتبه عنه الأقدمون والمحدثون ، من العرب والأوربيين ، تحية لذكرى بحار

عربي خالد ، اكتشف علم البحر ، وساهم وجاب أرجاء المحيط الهندي ، وعبد طرقه البحرية لربانة الدنيا ، وحنوا من دول الخليج العربي ، وعمان ، والسعودية ، على ذكرى بحار عربي خليجي ، كان بحارة جزر المالديف إلى أوائل القرن الماضي ، وطوال أربعمائة عام ، يقرأون لروحه سورة الفاتحة ، كلما خرجوا إلى البحر مسافرين ، وكلما عادوا إلى بيوتهم سالمين . ومن يذهب إلى ماليندي اليوم بكينيا ، سيرى بها نصبا تذكاريًا أقامه البرتغاليون في ماليندي ، اعترافاً بفضل ابن ماجد على البحرية البرتغالية والأوربية ، في بحر المحيط الهندي .





رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٨٩/٨٢٠٠